ISSN = 2073-6614 pp: 295-325 | مجلة جامعة الانبار للغات والآداب

# The Sincerity of Emotion in the Elegiac Poetry of the Poet Sabti Al-Hiti

# صِدقُ العاطفةِ في شعر المراثي للشاعر سبتي الهيتي

Mohamed Hatem Fathi Al-Hiti
m_alheety87@yahoo.com
Department of Religious Education and Islamic Studies

**م.م محمد حَاتِم فتحي الهيتي**

**دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية**

Receive: 20/10/2021 Accept: 03/01/2022 Published:30/3/2022

Doi: 10.37654/aujll.2022.176301

**Abstract**

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers, our master Muhammad, and upon all his family and companions. Passion is one of the most important components of the prosperous poetry of the pre-Islamic era. It is one of the basics of the poetic experience of the critics. Passion gives beauty to the formulation and writing of poetry. Due to the sincere use of passion in lament poems, the researcher tries to present the beauty of passion in Sabti Alheety's lament poems as they contain diverse pictures meanings of passion. The content of the paper is divided into: section 1 (power and beauty of passion), section 2 (continuity and stability of passion), and section 3 (diversity and inclusivity of passion).

**Keywords:** ( Poetry ; Passion ; Sabti Alheety ; Laments ).

**ملخص البحث**

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمين، وأفضل الصلاة والسلام على نبينا الأُمِّي الأمين سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد... كانت العاطفة منذ ازدهار الشِّعر في العصر الجاهلي العنصر المهم في تكوينه، فهي أحد أركان التَّجربة الشِّعرية لدى النُّقاد، إذ تعدُّ العاطفة الرُّكن الَّذي له الأفضلية في إعطاء النَّص الأدبي جمالًا في التَّعبير والصِّياغة. وَلَمَّا كانت العاطفةُ صادقةً في الرِّثاء، ارتأى الباحث أن يُظهر جمال العاطفة عند الشَّاعر "سبتي الهيتي" في مراثيه؛ لِمَا وجد فيها من قوةٍ المعاني وصدقِها وتنوعٍ صورها. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون الخطَّة على النَّحو الآتي:

المبحث الأول: قوة العاطفة وروعتها. المبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها. المبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها.

**الكلمات المفتاحية:** ( الشِّعر ؛ العاطفة ؛ سبتي الهيتي ؛ المراثي ).

**المقدمة**

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي الأمين محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فقد كانت العاطفةُ منذ ازدهار الشِّعر في عصر ما قبل الإسلام العنصر المهم في تكوينه، فهي أحد أركان التَّجربة الشِّعرية لدى النقاد، إذ تعدُّ العاطفة الرُّكن الَّذي له الفضل في إعطاء النَّص الأدبي جمالاً في التَّعبير والصِّياغة، وهي الأداة التي يركن إليها الأديب؛ بغية شدِّ الأذهان إليها، فنرى الأديب يجتهد القولَ عندما تكون العاطفة في أوجِّها؛ لعلمه بمدى تأثر القارئ أو السَّامع بخلجان القلب التي تُعَبِّر عن صدق المكنون، وجمال التَّعبير الَّذي يأتي بأنقى عبارة وأوضحها.

ولَمَّا كانت العاطفة العصا السَّاحرة التي تجذب الأذهان والأسَّماع، وأنَّها الرُّكن الجَماليّ للتَّجربة الشِّعرية التي تنظم الأفكار بأسلوب يروق القارئ، ويشدُّه للنَّص الأدبي، فقد اعتنى بها النُّقاد منذ القِدَم، وجعلوها معيارًا مُهمًا يبنون عليها أحكامًا تخبرهم مدى قوة الشُّعور وروعته، ومدى صدقها وكذبها، ومدى استمرارها في النَّصوص وفتورها، ومدى مقدرة الشَّاعر على امتزاج الأغراض في نصٍّ واحدٍ؛ ليعطي الجمال السَّامي الَّذي أوضحه ذلك التنوع الحاصل في العاطفة. وكلُّ ذلك يتأتَّى من القلب النابض، والشُّعور المُرهف، والاحساس الجميل الَّذي يختزله قلب الشَّاعر ونفسيته، فتوضحه الأبيات والنَّصوص.

ويرجع اهتمامي بدراسة الشِّعر عند الشَّاعر "سبتي الهيتي"؛ لأنَّه لم يحظ بالدراسة كما حظي شعراء كُثُر من زمنه. فعندما وقعت عيني على كتب الشَّاعر وجدت فيها من العاطفة ما حجبت الأبياتُ الكثيرَ من كُنهها، وأسرارها، إذ أتت أبياته وهي تحمل قوة العاطفة مع صدقها، وثباتها مع تنوعها، حتى يكاد القارئ يعيش في آلامه وأحزانه التي سطرها بألفاظ وحروف. وكلُّ هذه العاطفة أوضحناها في تحليلنا لبعض أبياته التي حملت غرض الرِّثاء الممزوج بالعتاب والفخر وغيرهما من الأغراض الأخرى.

وَلَمَّا كان المعلوم أنَّ العاطفة في الرِّثاء أقوى ارتأيت أن أُظهِرَ جمال المكنون النَّفسي الَّذي غمرنا به شاعرنا، وأنْ اكتب في عاطفة الرِّثاء التي رُسمت في أبياته، فوسمت بحثي بـ **(صدق العاطفة في شعر المراثي للشاعر سبتي الهيتي)**.

وقد قسَّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد ذكرت فيه التَّعريف بالشَّاعر، ومفهوم العاطفة (نظرة موجزة)، وبعدها أتى البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: قوة العاطفة وروعتها. والمبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها. والمبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها. ثم عَرَّجت في نهاية بحثي بخاتمة ذكرت فيها ما توصَّلتُ إليه من نتائج، ثم ختمت بحثي بقائمة المصادر والمراجع.

ولا أزعم أنَّي قلت كلمة الفصل في إظهار الجمال العاطفي المنسوج في أبيات شاعرنا، بل حاولت أن أُظهِر شيئًا من الجمال الأدبي التي يختزله الشَّاعر سبتي الهيتي.

نسأل الله التَّوفيق، والسَّداد، والإخلاص في القول والعمل. والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التَّمهيد: التَّعريف بالشَّاعر، ومفهوم العاطفة (نظرة موجزة)

### أولاً: التَّعريف بالشَّاعر[1]:

- **اسمه، ومولده:**

هو سبتي جمعة ذياب سبتي الهيتي، يرجع نسبه إلى قبيلة الدُّوَاسِر، ولد في عام 1940م، في مدينة هيت، تحديدًا في قلعتها القديمة التي كانت تُعرف بـ(الولاية). تربَّى في بيتٍ عُرِفَ بالدِّين والصَّلاح، عاش مع عائلة ميسورة الحال، إذ امتهن أبوه الحلاقة؛ ليسدَّ بها متطلبات أهله وأولاده.

- **حياته، ومسيرته العلمية:**

عاش شاعرنا في هذه المدينة القديمة مع أبويه وإخوته، إذ أكمل دراسته الأولية فيها حتى تكلَّلت بالنَّجاح، عندما تخرَّج من المرحلة الإعدادية من ثانوية الرّمادي سنة 1958م.

(1) ينظر: ترجمة الشَّاعر بصورة مفصَّلة في كتابه: الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي": سبتي الهيتي، مكتبة الزاوية للطباعة، بغداد، 2014م.

بعدها عُيِّن مُعلِمًا في إحدى مدارس القرى التابعة للواء الرمادي آنذاك، وفي نفس عام تخرجه انتمى إلى الحزب الشُّيوعي، وزاد نشاطه السِّياسي، وبسبب انتمائه إلى هذا الحزب، ونشاطه القوي فيه، تعرَّض إلى الكثير من المضايقات من رجال أمن الحزب الحاكم آنذاك، كان من أهمها اعتقاله لأكثر من مرَّة، حتى وصل به الأمر إلى نقل خدماته كمعلم من لواء الرّمادي إلى منطقة مندلي التابعة للواء بعقوبة سنة 1964م. وفي خِضَمِّ معاناة الغربة والبعد عن الأهل والزَّوج، ترك بصمة في تلك المدينة –مندلي–، إذ أبدع فيها بوصفه معلمًا للرَّسم، إذ جمع بين الشِّعر والرَّسم، فكان شاعرًا ورسَّامًا بالفِطرة، فلم يأخذ الشِّعر ولا الرَّسم دراسة بل اكتسب ذلك من فطرته، وذوقه العالي في مزج الألوان، وكثرة اطِّلاعه على الموروث الشِّعري العربي، وقد ذكر شاعرنا عن إبداعه الرَّسم في مدينة مندلي بقوله: "صار المندليون يشيرون بالأصابع إلى وجه ذلك الغريب الجميل حين يمرُّ في ساحة المدينة، أو يرجع في الطريق من قرية (كبرات) إلى مندلي، فيقولون: إنَّه الرَّسام"[1]، وهذا يعود إلى جميل الرَّسم الَّذي خطَّته فرشاته في اللوحات المدرسية التي شُوهِدت في المعارض السَّنوية التي تقيمها مديريات التَّربية وقتئذ.

وظلَّ سنتين في هذه المدينة يقاسي الغربة وشظفَ العيش، وظلَّت قريحته الفذَّة في ذلك الوقت تنسج الجيِّد من الشِّعر، حتى عام 1967م، إذ أُعيد نقله إلى لواء الرّمادي؛ ليتفيأ ظلال الأهل والأحباب. ولِتَعلُّقه الكبير بالدِّراسةِ وأخذِ العلم حَرصَ على أن يُكمِل دراسته الجامعية، فاختار كلية القانون في الجامعة المستنصرية، وبعد أن أتاه القَبول سارع التسجيل في الدراسة المسائية عام 1970م.

وظل بين كونه طالبًا جامعيًا وبين مهنة التدريس يسكن مدينة هيت، حتى المرحلة الثالثة إذ تمَّت الموافقة على نقل ملاكه التعليمي إلى بغداد بطلبٍ منه، وذلك عام 1973م. حتى أكمل دراسته الجَّامعية في عام 1975م، وسلك بعد تخرجه طريق المحاماة مع طريق التعليم. ولمَّا بلغ به العمر مبلغ التعب والمرض، اعتزل العمل السِّياسي، فكتب رسالة إلى مسؤول الحزب الشُّيوعي يطلب منه إعفاءه عن النَّشاط التَّنظيمي للحزب، وذلك عام 2009م[2].

(1) الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي" لسبتي الهيتي: ص43.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ص92.

- **آثــاره الأدبيــة:**

يعدُّ الشَّاعر سبتي جمعة الهيتي رائدًا من رواد الشِّعر في العصر الحديث، إذ كان يحمل التَّنوع الأدبي، فكان شاعرًا جزلًا، مُتمسِّكًا بالموروث الشِّعري، وهذا ما ذكره الدُّكتور نعمة رحيم العزاوي بقوله: "عرفت الأستاذ الشَّاعر سبتي الهيتي واحدًا من رواد مجالس بغداد الثَّقافية،...فكنت أجدُ في شعره ما لا أجده في شعر غيره من الَّذين يترددون إلى محافل بغداد...فألفاظ الشَّاعر سبتي الهيتي ألفاظ جزلة، تتسم بالفصاحة والطَّرافة، وتنأى عن الابتذال، وصوره من نسج خياله، وبما سمحت به قدرته على التَّصوير، وليست منقولة عن الآخرين، أمَّا تراكيبه فتشفُّ عن مضامينه، وتنقل للقارئ ما يخامر نفسه، وما يختلج في قلبه وعقله"[1].

وعلى الرغم من معاناة العيش، واضطرابات التَّنقل التي عاشها الشَّاعر، لم يفتر عن كتابة الشِّعر، بل رافقه الشِّعر في كل محنة مرَّ بها، وقد تضمن نتاجه الأدبي الآتي[2]:

- الدِّيوان الشِّعري (أوراقُ مُسافِر)، صدر عن دار الشؤون الثقافية العراقية، بغداد عام 2005.
- الدِّيوان الشِّعري (ذاكرة الخلود)، هو ديوان مراثي صدر عن دارين:
  - دار آراس للطباعة والنشر، أربيل عام 2006.
  - دار عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد عام 2011.
- الدِّيوان الشِّعري (مُلصقات على أبواب المدينة)، صدر عن دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق عام 2011.
- الدِّيوان الشِّعري (أغانينا)، ديوان شعري للأطفال، صدر عن دار ثقافة الأطفال، بغداد عام 2012.

(1) ذاكرة الخلود ديوان المراثي: سبتي جمعة الهيتي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2011م: ص5.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ص174، ومقالات في الأدب والشِّعر: سبتي الهيتي، دار المتن للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2019م: ص 142.

- الدِّيوان الشِّعري (مزامير ديموزا)، صدر عن دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق عام 2013.
- الدِّيوان الشِّعري (أوراقٌ لدار السلام) صدر عن دائرة العلاقات العامة في وزارة الثقافة، عام 2013.
- رواية (الطريقُ الصعبُ رواية بذاكرة شيوعي) صدر عن دار الزَّاوية للطباعة والنشر، بغداد عام 2014.
- رواية (الفلكة)، صدر عن دار المتن للطباعة والنشر، بغداد عام 2019.
- كتاب (تحت نصب الحرية ومواقف أخرى)، (مقالات) يتحدث فيها عن مشاركاته الشِّعرية، والأشعار التي أُلقِيت فيها، صدر عن دار المتن للطباعة والنَّشر، بغداد عام 2018.
- كتاب (مقالات في الأدب والشِّعر)، صدر عن دار المتن للطباعة والنَّشر، بغداد عام 2019.
- فضلاً عن الكثير من المقالات الأدبية التي نشرت في مجلات وصحف عراقية.

- **وفـــاتــه[1]:**

توفي الشَّاعر سبتي جمعة الهيتي مساءَ الاثنين من شهر شباط للعام 2016م، في محلِّ سكناه في مدينة بغداد، بعد صراع مرير مع المرض الَّذي لم يمهله طويلًا، بعد أن رفد المكتبة الأدبية بالكثير من النِّتاج الشِّعري والنَّثري، الَّذي لا ينفكُّ طالبُ العلم من أن يرتشف منه، أملًا في الزيادة العلمية، وطمعًا في الاحتذاء برواد الأدب العربي في النُّظم والنَّقد.

**ثانياً: مفهوم العاطفة لغةً واصطلاحًا:**

العاطفة لغةً من الأصل "(عطف): عطفتُ الشيءَ: أَمَلْتُهُ. وانعطف الشيء: اِنْعَاجَ. وعطفت عليه: انصرفْتُ. وعطفت رأس الخشبة، أي: لويت"[1]، "وعطفت عليه: أشفقت. يقال: ما

(1) اخذ الباحث سنة وفاة الشَّاعر من لسان أبنائه.

يثنيني عليك عاطفةً من رحم، ولا قرابة. وتعطف عليه: أشفق. وتعاطفوا، أي: عطف بعضهم على بعض. واستعطفه فعطف. وعطف الشيء يعطفه عطفًا وعطوفًا فانعطف وعطفه فتعطَّف: حَنَاهُ وَأَمَالَهُ، شدد للكثرة"[2].

فيتضح مفهوم العاطفة في اللغة بمعنى: الإمالة، والانحناء، فيؤخذ من هذا المفهوم أنَّ العاطفة هي إمالة النَّفس وحنوِّها؛ لإظهار انفعالاتها بصورة تدعو إلى العطف والمحبة.

أمَّا اصطلاحًا فالعاطفة هي "تلك المُيول النَّفسية والنَّوازع الوجدانية المنبعثة عن الانفعالات الغريزية المماثلة في حياة النَّاس من كُرهٍ، وحبٍّ، وحزنٍ، وسرورٍ، وانقباضٍ، ورغبةٍ، ورهبةٍ"[3].

فنلحظ أنَّ مفهوم العاطفة اصطلاحًا أتى مُتساوقًا مع مفهوم العاطفة لغة؛ لترابط المعنى اللغوي مع المفهوم الاصطلاحي في فهم الأديب والنَّاقد. فالعاطفة في المنظور الأدبي والنَّقدي له ارتباط بالتَّجربة الشِّعرية؛ لعلاقتها بالخلجات النَّفسية والشُّعورية، إذ إنَّ التَّجربة الشِّعرية تعتمد على عناصر وأسس لا تنفك عنها، وهذه الأسس مترابطة ومتواشجة بعضها البعض، فلا يكتمل جمال التَّجربة الشِّعرية بدونها؛ لأنَّ هذه التَّجربة الشِّعرية مُستمدةٌ من التَّقلبات الشُّعورية والنَّفسية والحيوية التي تدور في فلك حياة الأديب أو الشَّاعر، فتكون التَّجربة الشِّعرية عبارة عن "مجموعة العلاقات، والمجموعات التركيبية التي تحمل معاني مختلفة تثير انفعالات مختلفة، سرورًا، وحزنًا، وخوفًا،

---

(1) كتاب العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:170هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، مصر، (د.ت): ج2/ص17، مادة: (عطف).

(2) لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت:711هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، وسيد رمضان أحمد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت): ج4/ص2996، مادة: (عطف).

(3) الأدب ومذاهب النقد فيه: رشيد عبدالرحمن العبيدي، مكتبة التفيض، بغداد، ط1، 1954م: ص24.

وخشيةً، أو اطمئنانًا"[1]، وتكون هذه العاطفة متباينة بحسب نوع التَّجربة المُعاشة وطبيعتها، إذ إنَّ التَّجربة الشِّعرية قائمة على: الوجدان، والأفكار، والتَّصوير[2].

فالعاطفة أحد عناصر التَّجربة الشِّعرية التي يقصدها الشَّاعر في قوله؛ ليعقد صلة وطيدة تربط قول الشَّاعر بنفس القارئ أو السَّامع. حتى يلامس بهذه العاطفة خلجات القارئ، فتشابه انفعالاته؛ ليعيشها مع الشَّاعر، فيشجو بشجوها، ويعتلج بذلك الألم الَّذي صاحب الشَّاعر، فكأنَّه بذلك يواسيه في أفراحه وأتراحه.

وبما أنَّ الشِّعر أو الأدب عُمومًا يعدُّ وعاءَ العواطف البشرية[3]، فيكون الشِّعر بذلك الصُّورة النَّاقلة للانفعالات والمشاعر عَبْرَ أثير الألفاظ والصُّور الحسِّية المُشاهَدة التي يكتنفها الشَّاعر بين ثنايا القول، والصُّور الموجهة لتحريك النُّفوس إليها، وبذلك تكون هناك مزاوجة للعواطف بين الشَّاعر والمتلقي.

فالعاطفة تقوم على مبدأ الصِّدق، إذ لا بُدَّ أن تتوافر في العاطفة صدق التَّعبير، فيسوق الشَّاعر ما يجده في نفسه، دون زيادة أو تحريف[4]، وَمَبنى قيام العاطفة على الصِّدق موجودٌ ذكره في كتب التُّراث الأدبي، فقد جاء في "رواية ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس ب أنَّه قال: قال لي عمر بن الخطاب ﷺ: أَنشِدْنِي لأشعر شعرائكم، قلت: مَن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير،

(1) جماليات التشكيل اللونيّ في القرآن الكريم: د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، عمان ط1، 2010م: ص59.

(2) ينظر: التَّجربة الشِّعرية في شعر بدوي الجبل: رابح فروجي، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2012م: ص6.

(3) ينظر: الوجه الآخر مقالات في الأدب والفن والحياة: محمد عبدالحليم عبدالله، ط1، مكتبة مصر للطباعة، 1984م: ص68.

(4) ينظر: النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1997م: ص366.

قلت: ولِمَ كان كذلك؟ قال: كان...لا يمدح الرَّجل إلَّا بما فيه"[1]. وأهمُّ ما يميز الصِّدق الَّذي يكون في العاطفة "أن ينبعث عن سبب صحيح غير زائف، ولا مُصطَنَع، حتى تكون عميقةً تَهَبُ الأدبَ قيمَهُ الخالدة"[2].

وقد جعل النُّقاد العرب القدماء والمحدثين مقاييس كثيرة تبين صدق العاطفة، وجعلوا هذه المقاييس أساسًا لدراسة العاطفة، ومن هذه المقاييس قوة العاطفة، وضعفها، وثباتها، واستمرارها، وتنوعها، وشمولها[3].

ولمَّا كان الرِّثاء قائمًا على الحزن كانت العاطفةُ هي المحرك الأساس لقول الشِّعر، وطريقة صياغته، ويرجع صدق العاطفة في الرِّثاء إلى أنَّ الشَّاعر لا يريد منها التَّكسبَ ولا الشّهرةَ، إنَّما يسوق القول؛ ليظهر الوفاءَ والحب للمفقود، ويظهر الألم الَّذي أحدثه الموتُ في نفس محبيه.

وعلى الرغم من امتزاج الحزن بالرِّثاء، إلاَّ أنَّ عاطفة الحزن تتفاوت قوةً وضعفًا عند الشَّاعر بحسب المقصود من الرِّثاء، ومدى قرب المرثي من نفس الشَّاعر. فتركيز العاطفة في المراثي قائم على الحزن والتَّفجع، وهذا ما ذكره الأستاذ أحمد الشايب بقوله: "المرثية ذات عاطفة عامة واحدة هي الحزن"[4].

وقد تنوعت المراثي عند الشَّاعر (سبتي الهيتي) في صدق العاطفة تبعًا للمقاييس المذكورة؛ لِمَا حملته هذه المراثي من تنوُّعِ القصائد التي قيلت في أشخاص تباينوا في القرب من نفس الشَّاعر، فكان منهم القريب، والحبيب، والصديق، والأستاذ، والشَّاعر، حتى عرَّج إلى السُّمو في رثاء معالم

(1) العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت:463هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، القاهرة، 1981م: ج1/ص98.

(2) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1964م: ص190.

(3) ينظر: صدق العاطفة في شعر مراثي النساء: إيمان كمال مصطفى المهداوي، بحث قُدم إلى مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد 51، 2011م: ص2.

(4) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: ص52.

المدن الضَّائعة تحتها أيام العمر، وما اكتنفت هذه الايام من حسراتٍ وآهاتٍ مِن فقدِ حبيبٍ أو صديقٍ.

**المبحث الاول: قوة العاطفة وروعتها**

تعدُّ قوة العاطفة المقياس الأول الَّذي تتضح فيه صدق العاطفة وشَجوها، إذ يتحكم في هذا المقياس قوة الشُّعور لدى الشَّاعر، ورقة إحساسه، ورهافة الشُّجون الَّذي يرتقي بانفعال العاطفة إلى أعلى المراتب بأضعف المُثيرات التي تنبئ عن هذه العاطفة، فتتفاوت العاطفة في النِّتاج الشِّعري تبعاً لحظِّ الشَّاعر في الشُّعور العام[1].

فنلحظ قوة الانفعال العاطفي في رثاء أبي ذؤيب الهُذلي، وكان له أولاد سبعة، ماتوا كلهم إلَّا طفلًا، فقال يرثيهم:

أمِنَ المنون وريبها تتوجّع ... والدَّهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً ... إلّا أقضّ عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمي إنَّه ... أودى بنيَّ من البلاد فودّعوا
أودى بنيَّ وأعقبوني غصَّةً ... بعد الرّقاد وعبرة ما تقلع[2]

فنجد الشَّاعر وهو يرثي أبناءه يغلبه التَّحسر والتَّوجع، إذ كانت عاطفة الحزن تُفضي به إلى هلاكه بعد هلاك أبنائه؛ لِمَا وصل إليه حاله، مِن فقدِ ما يَستند إليه بعد كبر عمره، ورقة عظمه. وهو يراهم قد خطفهم الموت من بين يده، وأسقط عنه عُكَّازه الَّذي يركن إليها.

(1) ينظر: العاطفة والابداع الشِّعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري: د. عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م: ص305.

(2) ديوان الهذليين: الشُّعراء الهذليون، تحقيق محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ-1965م: ج1/ص1-21، والعقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي (ت:328هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ: ج3/ص210.

فنلحظ ازدياد الانفعال العاطفي عند رثاء الأقارب، مِن أبٍ، وأمٍّ، وزوجةٍ، وأبناءٍ، فكلَّما ازداد قرب المرثي إلى قلب الشَّاعر ازداد الانفجار العاطفي عليه، فقوة الشُّعور العاطفي متأتي من العلاقة الرَّابطة بين الرَّاثي والمرثي[1]، وقد "لاحظ النُّقاد قديمًا أنَّ قوة عاطفة الحزن في غرض الرِّثاء إنَّما تتجلى في الحرارة، والحُرقة، والكمد عند الشَّاعر، وعند متلقي شعره على حدٍ سواء"[2]، وهذا الأمر الَّذي لمسناه في شاعرنا عندما رثى ابنته وهو يقول:

وَدَّعتُكِ اللهَ مَولاتَا وَمَولاكِ ... فهو الرَّحيمُ الَّذي في القَبرِ يَرعاكِ
وَدَّعتُكِ اللهَ في رَوضٍ رَقَدْتِ بهِ ... مُنيرةَ الوجهِ، والرَّحمنُ يَلقاكِ
فقدْ رجعْتِ لهُ والنَّفسُ راضيةٌ ... والقلبُ يطفَحُ نورًا مِن مُحيَّاكِ
وقَد حَمَلْتِ لهُ الإيمانَ صَادِقَةً ... هو الكِتَابُ الَّذي يَزهُو بِيُمناكِ
فَكَم تَهَذَّبْتِ في عِلْمٍ وفي أدبٍ ... وخَشيةُ اللهِ كانت مِن سَجَاياكِ
وَكَم تَحَمَّلتِ وَالبَلوى يُفَضِّلُها ... للصَّابرينَ وَنِعمَ الفضلُ بَلواكِ
فَأنتِ فَخرٌ إذا ما عِشتُ أذكُرُهُ ... وَلَستُ أَنسَاهُ في يومٍ وَأَنسَاكِ
وَأَنتِ شَرَّفتِ مَنْ جَارُوا وَمَنْ نَقَضَوا ... عَهدِي فَلَم يَعرِفُوا الإنصَافَ لَولاكِ[3]

فنجد أنَّ القصدَ قد أخذ منحًى آخر في قول الشَّاعر، فذهب من الحزن العميق بفقد ابنته إلى الفألِ الحسن الَّذي كان يختلج ذهنه لمصيرها الَّذي ستلقاه، وهذه هي صورة الرِّضا بما يؤول إليه المرثي طمعاً بما عند الله تعالى من خير، وما اتصف ﷻ من صفات الرَّحمانية والكرم، فالعاطفة القوية والهائجة لفقد الحبيب التي توقَّدت منذ أن أتى الموتُ فاغرًا فاهُ إلى ابنته أطفأتها القناعة بما عند الله تعالى، وما يجمعه الله تعالى من الصِّفات القُدسِية التي اختزلت هذه الآية شيئاً منها حين قال

(1) ينظر: الرِّثاء في الشِّعر الجاهلي وصدر الإسلام: د. بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ط1، 1977م: ص190.

(2) أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري: عتاب بسيم السوداني، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2005م: ص210.

(3) ذاكرة الخلود ديوان المراثي: ص26-27.

تعالى: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[1]. فَفَقدُ الأبناء مصيبةٌ تُشعلُ النَّفسَ عاطفةً ووجدانًا، وهذا ما ذكره البَيْهَقِيُّ (ت:320هـ) حين قال: "وسألتُ أعرابيًا، ما أجود الشِّعر عندكم؟ قال: ما رثينا به آباءنا وأولادنا، وذلك إنَّا نقولها وأكبادنا تحترق"[2].

فنرى العاطفة الصَّادقة التي عبَّر عنها الشَّاعر وهو يرثي ابنته أنبأت المآل الَّذي يرجو الله تعالى لها، فكانت العاطفة الأبوية قد أحكمت قبضتها على الألفاظ، فنراه قد استبدل لفظة القبر الَّذي هو مكان الوحشة والظُّلمة بالرَّوض الشَّاسع الَّذي جعله الله تعالى مرقدًا لابنته، وقد كساها تعالى أبَّهةً وجمالًا، وهذا ما يُسمَّى في الشَّرع حُسنُ الظنِّ بالله تعالى. وقد يكون هذا الفعل من ديدن الشُّعراء الأوائل الَّذين استعملوا الأضداد؛ لإضفاء الجمال الحسِّي والتَّعبيري للنَّص الشِّعري، فكان منهم أبو تمام الَّذي يقول:

ضوءٌ من النَّارِ والظَّلماءُ عاكفةٌ وظلمةٌ من دخانٍ في ضُحًى شَحِبِ
فالشَّمسُ طالعةٌ مِن ذا وقد أفَلَت والشَّمسُ واجبةٌ مِن ذا ولم تَجِبِ[3]

فالعاطفة قد جعلت أبا تمام يرى الحريق الَّذي أصاب المدينة ليلًا وهي تنير المكان ضوءًا وحرارةً، كأنَّها الشَّمس وقت الصَّباح، وكأنَّها باقيةً لم تفل، فالعاطفة دفعت أبا تمام؛ ليستمد من الأَضداد صورة جميلة مرسومة في أبيات[4].

وكذلك نرى شاعرنا قد اقتبس في رثائه لابنته من الذِّكر الحكيم، وهو اقتباس معنوي، إذ قال:

فقد رَجَعْتِ لـه والنَّفسُ راضيةٌ والقلبُ يطفحُ نُورًا مِن مُحيَّاكِ

(1) سورة الشورى: من الآية 19.

(2) المحاسن والمساوئ: إبراهيم بن محمد البَيْهَقِيُّ (ت:320هـ)، تصحيح محمد بدر الدين التَّعاسِي الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، 1960م: ج2/ص34-35.

(3) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، قدَّم له راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م: ج1/ص39-40.

(4) ينظر: العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشِّعر: د. حسين أبو المجد محمد، مقالة منشورة في المجلة الحولية بجرجا، جامعة الازهر، مجلد 9، العدد1، 2005م: ص350-351.

إذ اقتبس في هذا البيت من قوله تعالى: ﴿يَاءَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ ۞ اِرجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرضِيَّةً﴾[1]. وهذا الالتماس من الآيات في الأبيات هو الشُّعور بأنَّ الرِّضا عند الشَّاعر كان مُصاحبًا لما أراده الله له حين حكم بالموت على ابنته. فاختياره لألفاظ الرَّحمة والجزاء الحسن في الأبيات تسلية لنفسه، وحسن ظنِّه بربِّه، ولكبح جماح العاطفة المتأججة التي لا يستطيع ردَّها إلَّا بإتيانه اللفظ الَّذي يعبِّر عمَّا سيؤوله المؤمن بعد موته.

وكذلك نجد أبياتًا لشاعرنا تحمل من العاطفة ما تفجرُ العيونَ دمعًا، والقلوبَ حسرةً وتوجعًا، يرثي بها المدن وما عَلِقَ في الأذهان عنها من ذكريات وصور، وما تحمله هذه المدن من شواخصَ وعلاماتٍ، إذا ما ذُكِرَتْ اِنساب الدَّمع عليها اشتياقًا وحسرةً، منها ما جاء في رثاء جسر الشهداء، الَّذي يُعبر عنه بقوله:

مَن يُبَلِّغَ عَنكَ أَبِن الجَهمِ يَا جِسرُ مَن؟
لِيُبَلِّغْ عَن عَاشِقٍ يَحمِلُ اليَومَ جُثَّتَهُ
وَيَطُوفُ بِهَا مُدُنَ الفُقَرَاءِ...
بَاحِثًا فِي خَرَابِهَا عَن غَدٍ ضَائِعٍ
وَجَنَائِنَ مَفقُودَةٍ مَا أَبَاحَ بِهَا الشُّعراء.
عَاشِقٌ تَقتَفِي خَطوهُ ظَبية نَازِفٌ جُرحُها
وَعَلى كَفِّهِ قَمَرٌ أَسودُ الكِبرِيَاءِ.
المَصابيحُ في جَانِبيهِ اِستَحَالَت مَدَى،
طعَنتْ قَلبَهُ،
والمَآذِنُ تَطرُقُ مِن خَجَلٍ
مُنذُ عَافَتهُ فِي ظِلِّهَا جُثَّةً لِلضِّياءِ...[2]

فالشَّاعر يحاكي بأبياته المنظومة على البحر الحر قصيدةَ الشَّاعر علي بن الجَهم حين مدح المتوكِّل، وهو يقول:

(1) سورة الفجر: الآية 27 –28.

(2) الديوان: ص91–94.

عُيـونُ المَهَـا بين الرَّصـافَةِ والجِســرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِن حيثُ أدري ولا أدري[1]

فشاعرنا يندب المدينةَ بذكر شواخصها، وما آل إليه وضع المدينة بعد أن كانت عروسةً تَتزين بظلال أشجارها، وزهوّ العمران والبنايات فيها، وبعد أن كان الإنسان فيها يتقلَّب بنعيمها شرقاً وغرباً، أصبحت أطلالًا للتَّحسر، وظلالًا يكتنفه الخوف والرُّعب؛ لِمَا حلَّ بها من ويلات، فتزداد العاطفةُ بالتَّوقد عند ذكر المواضع والصُّور التي تنبئ عن الخوف والرَّهبة، وتخمد عند مواساة النَّفس وتسليتها، فهو يصور أحداث الرُّعب التي احتلت أماكن الفرح والازهار، فيقول:

مَنْ يُبَلِّغ عَن زَمَنٍ آسِنٍ
زَمَناً جَارِياً مِثلَ مَاءٍ.
فَيُبَلِّغْ عَن جُثَّةٍ مَا تَزالُ بِأعمدَةِ الكَهربَاءِ،
بَينَ نَخلِ الرَّصَافَةِ وَالكَرخِ مَصلُوبَةً،
وَعَلَى خَدِّهَا وَردَةٌ ذَبَلَتْ مِن أَسًى وَحَياءٍ.
وَعَلى جُرحِهَا تَتَمَرَّغ بِالحُزنِ عَينُ السَّماءِ.
يَا لِغَدرِ الحَضَارَةِ فِي أَهلِهَا،
يَومَ أَلقَتْ عَلى بَابلَ غَضَباً و...
وَتَبَاهَى بِهِ سَادَةُ العَصرِ وَالأَغنياءُ الكِبَارُ،
وَرُعَاةَ الدَنَاصِيرِ والإبلِ والأغبياءِ[2].

فنرى العاطفةَ حاضرةً بكلِّ عنفوانها حين جسَّد الشَّاعر الصُّور بالألفاظ الواضحةِ، فاصطلح عن الأحداث الصَّاخبة التي علا صوت أنينها بين ركام حطام البُيوت المُتهالكة بأنَّها الماءُ الآسنُ الَّذي طغى لونه الأسود على الموجودات، وأزكمت الأنوف رائحته الكريهة، فكأنَّ المُصابَ قد طال البلاد بوشاح السَّواد، ورائحة الموت، وكلُّ هذه الأحداث أنبأت عن عاطفة التَّحسر في التَّحول من رخاءٍ إلى شدَّةٍ، ومن رغدٍ إلى عناءٍ، ومن حياةٍ إلى موتٍ. فكان الانفعال العاطفي مشحونًا بالصِّدق

(1) ديوان علي بن الجهم: عني بجمعه وتحقيقه ونشره خليل مردم بك، طبع في وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، 1002هـ: ص220.

(2) الديوان: ص 91.

في الشُّعور، ومساويًا لفقد العزيز والقريب. فَفَقدُ البلاد فَقْدٌ للأمان والسَّعادة، وكذا فَقدُ الأبناء والأحباب فقد للرَّابطةِ الأسريةِ التي كانت سندًا ومتكأً، ونُعَوِّلُ صدق الشُّعور في عاطفة رثاء المدن إلى أنَّه لا يحمل التَّملقَ ولا التَّكسبَ، بل يُعبِّر عن الخلجات العفوية التي تفضَحُها الملكات الشِّعرية بسياقات وأوزان تصور المقصود بلا تقيدٍ وحدودٍ؛ لأنَّ الشَّاعر لا يترجَّى مِن هذه الأحجارِ أو الشَّواخص أن تُكسبَهُ مالًا أو شهرةً.

وإنَّ هذه المشاهدَ وإنْ تصوَّرت في أبيات القصيدة، وحملت من العاطفة الشيء الكثير إلَّا أَنَّها لم تصل إلى نوع العاطفة الصَّادمة التي تخرج من الشَّاعر وقت المُصاب؛ لأنَّها تكون بركاناً هائجاً لا يُعرفَ مقداره ولا انتهاؤه، وهذا الأمر نراه عند الشُّعراء القدماء الَّذين سطروا الرِّثاء وقت المُصابِ فأبدعوا، وكانت على رأسهم الخنساءُ التي أتى شِعرُها وقت مُصابِها بصورة رائعةٍ قويةٍ، وهي تقول:

يا عَينِ جودي بِالدُموعِ الغِزار ... وَابكي عَلى أَروَعَ حامي الذِمار
فَرعٍ مِنَ القَومِ كَريمِ الجَدا ... أَنماهُ مِنهُم كُلُّ مَحضِ النِجار
أَقولُ لَمّا جاءَني هُلكُهُ ... وَصَرَّحَ النَّاسُ بِنَجوى السِرار
أُخَيَّ إِمّا تَكُ وَدَّعتَنا ... وَحالَ مِن دونِكَ بُعدُ المَزار
أَهلي فِداءٌ لِلَّذي غودِرَت ... أَعظُمُهُ تَلمَعُ بَينَ الخَبار
صَريعِ أَرماحٍ وَمَشحوذَةٍ ... كَالبَرقِ يَلمَعنَ خِلالَ الدِيار[1]

فنرى توهُّج العاطفة بين أشطار الأبيات؛ لقرب موت أخيها، فانبلج اللِّسان صادحًا برثائه يحمل عظيم الشُّعور تجاهه، وهذا ما ذكرته الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في قولها: "قالتها لَمَّا جاءَها خبرُ هلكه، فيها اللهفة الحارة، والحزن المستثار، والشَّاعرية المرهفة، وتستجيب لدفع الوجدان بهذا الوزن السَّريع، والرَّنين المقيد، فكأنَّها صرخات قلب مقطع مُمزق، وأنَّات صدر مُتصدع الأنفاس، ولهاث لوعة باتت تباريحها تقدح في قلبها شجًا من شرار النَّار"[2].

(1) ديوان الخنساء: شرحه حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م: ص60.

(2) الخنساء: د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ط2، 1963م: ص99.

أمَّا المراثي بعيدة العهد التي قالتها الخنساء، فقد عبَّرت عنها الدكتورة عائشة بنت الشاطئ بقولها: "وفي هذه المراثي المتأخرة نراها تُقلِّد نفسها، وتدور في حلقة مفرغة مكررة ألفاظًا، ومعاني لها سابقة، ولا تكاد تنجو مرثية لها متأخرة، من أثر التَّكلف ومعاناة النّظم وإجهاد القريحة"[1].

**المبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها**

يعدُّ المعيار الثَّاني من معايير العاطفة التي تقاس فيها مقدرة الشَّاعر على جعل تلك العاطفة ثابتةً مع طول أبيات القصيدة، فلا يشوبها فتورٌ ولا نقصٌ، فيتساوق ثباتها من أول البيت إلى آخره. وقد عبَّر الأستاذ أحمد الشايب عن هذا المقياس بقوله: "يُراد بثبات العاطفة استمرار سلطانها على النَّفس المُنشئ ما دام يشعر، أو يكتب، أو يخطب؛ لتبقى القوة شائعة في فصولِ الأثر الأدبي كلِّه لا تذهب حرارتها وبهذا يشعر القارئ أو السَّامع ببقاء المستوى العاطفي على روعته مهما تختلف درجته باختلاف الفقرات والأبيات"[2].

وإنَّ استمرارَ العاطفة وثباتها في النَّص الشِّعري راجعٌ إلى الثَّراء العاطفي الَّذي يسكن قلب الشَّاعر[3]، فيحاول تشكيلها بألفاظ تُصورُ هذه المكنونات النَّفسية؛ لينتقل للسَّامع الشَّجوُ الَّذي خُلِقَ في نفس الشَّاعر، فيتشارك بتلك العاطفة الرَّاثي والمتلقي.

وقد أوضح ابن قتيبة (ت:276هـ) هذا المقياس، حين قال: "ولله درُّ القائل: أشعر النَّاسِ مَن أنتَ في شعره حتى تفرغَ منه"[4].

فيتضح من هذا القولِ أنَّ الشَّاعر المبدع هو الَّذي يَعمدُ إلى شدِّ الأذهان تجاه أبيات قصائده من أولها إلى آخرها، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كانت العاطفة يفوح شذاها بثباتٍ واستمرارٍ دون انقطاع وفتور، وهذا كلُّه متأتٍّ من صدقها، وروعتها، وقوتها في نقل الشُّعور دون تزييفٍ أو برود[1].

---

(1) المصدر نفسه: ص112

(2) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب: ص197.

(3) ينظر: صدق العاطفة في شعر مراثي النساء: ص 7.

(4) الشِّعر والشُّعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ: ج1/ص82.

وهذا ما وجدناه في مراثي الشَّاعر التي تحمل عاطفة صادقة مستمرة، يفوح شذاها الحزين في الألفاظ والصُّور، ومنها قوله وهو يرثي الشَّاعر محمد مهدي الجواهري:

يَا حَـادِيَ الشِّعر المُهِيبَ عَزاؤهُ أنا فِـي رِحَـابِكَ غَصَّـةٌ وَعَـزَاءُ
أَسَفٌ عَلى أَسَـفٍ بِفَقدِكَ طَالَهُ حَذَرُ الوَقِيعَةِ فِي الصُّدُورِ خَفَاءُ
أأبا فُـراتٍ يَا شِـهَابَ عُروبَـةٍ وَبِـضِـدِّهَـا تَتَـبَـيَّـنُ الأشـيَـاءُ
بِكَ اِطَّلَعَتْ مِن قَبلِ أَلفٍ نُخبة بِلِسَـانِها فَسَـــمَا بِهِـم إعطَــاءُ
وَأَثَـابَهَا المَـاضِي بِنَجمِكَ ثَاقِبًا حُجُبَ الظَّلامِ فَأنتَ مِنهُ ضِيَاءُ
أَبَداً تُشِـيرُ بِهِ عَليكَ سَمَاحَــةً وَمِـنَ السَّـمَاحَةِ عِـزَّةٌ وَإِبَــاءُ [2]

فنجد العاطفة في هذه القصيدة قد ترابط جمالها، وقوة شدوها من أول البيت إلى آخره، إذ استهلَّ قصيدته يندب حظ الشُّعراء بفقد شاعرهم ومرشدهم، وعاطفتُه كانت في أوجّها، حتى إذا ما قام يسرد مآثر شعر الفقيد، نرى عاطفة التَّحسر تحلّق بين السُّطور، وهذا ما نراه في قوله:

فَهَوَى عَمُودُ الشِّعر مِنْ عَلياَئِهِ لَمَّا نَعَتـكَ بِحُـزنِـهَا الأبنَـاءُ
وَتَصَـدَّعَتْ أَبيَاتُ شِـعرِكَ كُلُّهَا وَتَخَـلَّعَتْ أَبوَابُـهَا الخَضرَاءُ[3]

فيُلحَظُ أنَّ العاطفة قد أخبرتْ أنَّ المُصاب بفقد الشَّاعر جَلَلٌ، وأنَّ الفجوة التي تركها والثُلمة كبيرةٌ يصعب أن يملأَها غيرُه. فالشَّاعر يصف الجَّواهري بأنَّه عمود الشِّعر، أي: أنَّه السَّنام الأوحد الَّذي يقوم الشُّعراء في خيمة الشِّعر تحته فيئِهِ، حتى تخلل ذلك فتور في الشِّعر، والمعلوم أن أسماع الصَّدع لا تحدث إلاَّ في الصَّلْبِ من الأشياء، فشبَّه أبيات الشِّعر التي كتبها وهي تندب حظَّها بالتَّصدع، حتى يُعْلِمَ السَّامعَ أنَّ ما أورثه هذا الشَّاعر الكبير صلب كالجّبال لا ينتهي إلَّا بالتَّصدع والانهيار، وكل هذه الصُّور تُخبِرُ السامعَ مدى ثبات العاطفة الجامحة في أبيات الشَّاعر، ومدى

(1) ينظر: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين: أحمد محمد نتوف، دار النوادر، دمشق، ط1، 2010م: ص350.

(2) الديوان: ص 61–67.

(3) الديوان: ص64.

استمراريتها، حتى إذا أراد أن يُفضِي إلى نهاية رثائه حاول أن يُسلِّي نفسه بذكر ما قاله الجَّواهري؛ لكي يُعْلِمَ المرثي أنَّه باقٍ ببقاء ترديد أبياته، فقال:

شَـرَفٌ لِدِجلَةَ أَن تُحَيِّي مَـاءَهَا عَذْباً وَإِنْ كَدُرَتْ بِهِ الأَضـوَاءُ

شَرَفٌ لَهَا أَن تَحتَفِي بِكَ وَارِداً أَو صَـادِراً وَجَـبِـيـنَـهَـا لَألاءُ

لا لَستُ عَنكَ سَجـعَ حَمَـامِهَا فَلَقَد بَقَيتَ وَغَـادَرَ الشُّعراء[1]

وهذه الأبيات قد اقتبسها من أشعار الجَّواهري التي قال فيها:

حَيَّيتُ سَفحَكَ عَن بُعدٍ فَحَيِّيني يَا دِجلَـةَ الخَيـرِ يَا أُمَّ البَسَـاتِيـنِ[2]

فكانت العاطفةُ في أبيات شاعرنا صادقةً، باقيةَ التَّوهجِ في جميع الأبيات، معبرةً عن مدى الحزن الَّذي انتاب الشَّاعر منذ أن صاح المنادي مُعلنًا موت الشَّاعر الكبير، فكانت العاطفة ثابتةً مستمرةً لم نرَ لها فتورًا ولا خمودًا، بل تلألأت في جنبات الأبيات، مُعلنةً عن جمال القول في المرثي، وصدق الوجدان له.

ومثل هكذا ثبات في العاطفة تحدث عنها النُّقاد الَّذين فهموا أنَّ ثبات العاطفة واستمرارها في القصيدة تكون باختصاص الشَّاعر كلِّ غرض من أغراض قصائده بشيء من توقد الشُّعور العاطفي الخاص به، فنراهم قد احتفوا بالقصيدة أجزاء ووحدات، وتكلموا عن براعة المطلع، وحسن التَّخلص، وروعة المقطع، أو الخاتمة[3].

**المبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها**

ونعني بهذا المقياس وجود عواطف أخرى غير عاطفة الحزن تكون مترابطة ومتواشجة ومتداخلة معها في نصٍ واحدٍ؛ ذلك أنَّ تنوع الأغراض التي يتقنها الشَّاعر يكون مَدعاةً إلى اظهار

(1) الديوان: ص67.

(2) ديوان الجَّواهري: محمد مهدي الجَّواهري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي، د. على جواد الطاهر، رشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1975م: ج5/ص83.

(3) ينظر: العاطفة والإبداع الشِّعري لعيسى العاكوب: ص275، والنقد التطبيقي لمحمد نتوف: ص349.

مقدرته الشِّعرية في تكوين عواطف مختلفة ومتنوعة، إذ تكون كلُّ هذه العواطف مُعتمدةً على المقياس الأبرز في مقاييس العاطفة، وهو مدى صدقها أو كذبها، فربَّما يكون التَّنوع في إظهار العواطف راجعًا إلى حبِّ الشهرة، والظهور ليس إلَّا، فيخرج بعاطفته من صدق الشُّعور إلى كذبه[1].

وقد كان التَّنوع في العاطفة من أكثر ما شغل بال النقاد العرب، ومنهم أبو عبيدة مُعمرُ بن المُثنى التَّيمِيُّ (ت:209هـ) الَّذي قال في تمييز الأعشى عن غيره من الشُّعراء: "مَن قَدَّم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد، وتصرفه في المديح، والهجاء، وسائر فنون الشِّعر، وليس ذلك لغيره"[2]. وقد ذكر الأستاذ أحمد الشايب تنوع العاطفة بقوله: "فقد تتنوع العواطف الجزئية في القصيدة، أو الخطبة، أو الرِّسالة، ولكنَّها مع ذلك خاضعة لهذه الوحدة الشُّعورية العامة، فالوصف الرائع يدخل في الرِّثاء، ولكنَّه يُقويه، ويلبس ثوبه الحزين"[3].

والمتأملُ في مراثي الشَّاعر يجد التنوع العاطفي منسوجًا في أبيات قصائده، فنراه قد سخَّر أغلب الأَغراض الشِّعرية لخدمة غرض الرِّثاء، ومن تلك الأغراض الممزوجة مع الرِّثاء هو غرض الوصف، الَّذي لم يفارق أغلب أبيات القصائد، ومنه ما جاء في قوله:

مَا كُنْتَ مَخذُولاً عَلَى سَكَراتِهِ  بَل رَاضِياً عَالِي الجَنَابِ مُوحِّدَا

يَنسَابُ مِن عَينَيكَ خَشيَةُ عَابِدٍ  وَبريقُ ... إيمانٍ ... يَزيدُ تَوَقُّدَا[4]

فتظهر براعة الشَّاعر في مزاوجة غرض الوصف مع الرِّثاء، حين يصف الشَّاعر المرثي وهو صابر على الموت بأنَّه لا يشبه غيره، بل حمل مع الصبر الرِّضا، وأنَّه عالي الجناب موحدٌ توحيدَ الصالحين، الَّذين يتوشحون الخشية والرَّهبة لله تعالى، فوصف توحيد ذلك الرَّجل بأنَّه دائمُ البكاء لله تعالى، مصحوبٌ بالخشية والخضوع له، وخشيته ليست تملقًا ولا مريةً بل خشية العابد الَّذي

(1) ينظر: النقد التطبيقي لأحمد محمد نتوف: ص350.

(2) الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني (ت:356هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ط1، 1969م: ج9/ص3229.

(3) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب: ص 198.

(4) الديوان: ص10.

ترى أنوارَ إيمانه وبريقها من محياه. وفي هذين الغرضين عاطفتان امتزجتا مع بعض؛ لتظهرا جمال التَّعبير والتَّصوير، وما يشوبهما من حزن عميق للفقيد في نفس الشَّاعر.

وفي صورة أخرى للعاطفة والتي أتت في امتزاج غرض الوصف مع الرِّثاء الَّذي انساق في قوله:

يَا شَاهِرَ السَّيفِ حَسبُ السَّيفِ مُمتَشِقًا وَحَسبُهُ مَا نَبَا فِيهَا وَمَا زَهَقَا
وَحَسبُهُ إن مَوتاً قَدْ تَرَصَّدَهُ مِن قَبلِ عِشرينَ مَأسُورًا وَمُستَبِقَا
قَدْ طَالَهُ وَهُو يَدرِي أَنَّ مَعدَنَهُ بِرُغمِ سُوْدِ اللَّيَالِي ظَلَّ مُؤتَلِقَا
يَا شَاهِرَ السَّيفِ يَا فَادٍ بِلا زَمَنٍ وَيَا زَمَانًا غَرِيبَ النَّاسِ مَا رَفَقَا
لَئِنْ نَعَتْكَ جِرَاحُ النَّخْلِ نَازِفَةً فَكَيفَ يَنعَاكَ مَن عَادَى وَمَن عَشِقَا
وَكَيفَ يَأخُذُ مِنكَ المَوتُ بُغيَتَهُ وَقَد رَمَاكَ بِسَهمِ الغَدرِ مُرتَزِقَا[1]

فجاء الوصف في أبدع صورة حين عبَّر عن الرَّمية التي تلقاها الفقيد بأنَّها الموت، وكيف أنَّ هذه الرَّميةَ كان ترصده قبل آسره بعشرين سنة، فكأنَّها كانت تبحث عنه في الوجوه حتى شاهدته فارتمت في صدره، وهذه المشاهد في الوصف عبَّرت عنها الألفاظ التي تحمل التَّجانس بين بعضها البعض، فمِن اسم الفقيد (شاهر) صوَّر لنا الشَّاعر أنَّ الفقيد قد حمل الاسم متفاخرًا كأنَّه السَّيف مُمتشق، حتى وإن قد نبا[2] هذا السَّيف عن العدو، أو زهَقَ أرواحهم يبقى يشع بريقًا ورفعةً، وعلى الرغم من سواد الليل الَّذي قضى فيه غدرًا يظل بريق الفقيد في حسن سيرته مشعًا وضَّاءً، فهذه الصُّورة تحمل من العاطفة حرارتها ووهجها، لأنَّها تصور المقتل، وهذا الأمر ممَّا يجعل الألم يزيد عند الشَّاعر؛ لأنَّ هذه الأبيات تذكره المُصاب الَّذي قد قضى فيه المرثي.

وكذلك أتى هذا الإبداع الوصفي الَّذي تمازج مع الحزن في قوله:

يَاعَابِرَ اللَّيلِ كَمْ لاَقَيتَ مِن ظُلَمٍ وَكَم تَغَرَّبتَ كَم قَاسَيتَ مَا اختَلَقُوا

(1) الديوان: ص35.

(2) مَعنى نَبا يَأتي من نَبَا السَّيفُ عن الضريبةِ، أي: تجافى ولم يمضِ فيها. ينظر: مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م: ج5/ص384، مادة: (نبو).

وَكَم ظَمِـأتَ وَكَم أَضنَتْكَ قَافِيـةٌ وَكَم تَمَادَى فَـأَدْمَى جِفنَكَ الغَسَقُ
وَأَنــتَ تَــزرَعُ أزهَــارًا مُـلَــوَّنَــةً تزُفُّـهَا الشَّـمـسُ وَالأنــوارُ والألَـقُ
وَالفَـاتِـنَـاتُ الصَّـبَايَا وَهِي لاهيـةٌ وَبَسمَـةُ الطِّـفلِ وَالأنسامُ والحَـدَقُ
وَدِجلـةُ الخَيرِ نَشـوانٌ بِقَـامَتِـهِ وَالكَرخُ وَالبَاسِقَاتُ النَّخلُ والعَبَقُ[1]

فنشاهد وصف الطَّبيعة الغنَّاء الذي تكاتف مع صورة الحزن؛ ليعطي النَّقاء الصُّوري والجَّمال الإبداعي اللفظي، وهذا الإبداع الشِّعري قد سَبَقَ إليه شعراءُ كُثُر، ومنهم شاعرُ الطَّبيعة ابن خفاجة الأندلسيُّ (ت:533هـ)، الَّذي أبدع هذه المزاوجة بين الطبيعة والرِّثاء[2]، فنرى هذه المزاوجة في رثائِهِ الوزيرَ أبا محمد عبدالله بن ربيعة، فقال:

فِـي كُـلِّ نَـادٍ مِنْـكَ رَوْضُ ثنَـاءِ وَبِكلِّ خَدٍّ فِيـكَ جَــدوَلُ مَـاءِ
وَلِكُلِّ شَخصٍ هِزَّةُ الغُصنِ النَّدِي غِـبَّ البُـكَاءِ وَرِنَّــةَ المُــكَاءِ
يَا مَـطـلَـعَ الأَنـوارِ إنَّ بِـمُـقْـلَـتي أَسَـفاً عَـلَـيكَ كَمَنـشَـأِ الأَنـواءِ
وَكَفَـى أَسىً أن لا سَـفَـيرٌ بَـينَـنـا يَمشِـي وَأَن لا مَـوعِدٌ للقَـاءِ[3]

فنلحظ صور الطبيعة وهي تزهو في الأبيات بعبق الأزهار، إلاَّ أنَّ المتأتي من معناها يحمل الحزن والتَّحسر لفقد المرثي، وهذا التَّضاد في استعمال الصور الحِسَان في قوالب مملوءة بالحزن والأسى، يكون مدعاةً لتنوع الجانب العاطفي عند الشاعر في التَّعبير والتَّصوير، وهذا الأمرُ الذي لمسناه عند شاعرنا الذي حمل عاطفةً جمةً جعلته يتحكم في تشكيلها بين أبيات قصائده. فنراه يمازج ويواشج عاطفة الحزن في مراثيه بالعتاب الذي يصف فيه جمال الطبيعة التي اكتنفت ذكرياتهم فيها، فقال يعاتب بصيغة الاستفهام:

أَحَقًّا طَويتَ كِتابَ الحَيَاةِ لِتَنـوي الرَّحـيلَ فَلا تَلتَـقِي

(1) الديوان: ص 97.

(2) ينظر: أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس داخل وخارج الأندلس: يوسف إبراهيم قطريب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017م: ص119.

(3) ديوان ابن خفاجة الاندلسي: شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، 2004م: ص16-17.

أَحَقًا تَمُوتُ وَأنـتَ الرَّبيـعُ وَأقـلامُ غَرسِـكَ لَـم تُـورَق
وَكُنـتَ تُـؤَمـلُنَـا بِالمَـزيـدِ مِنَ الحُبِّ وَالأملِ المُشرِقِ
وَتَمنَحُنَا ثِقَـةَ الوَاعِـدِيـنَ وَحَسبُ الحَيَاةِ لِمَن يَرتَقِي[1]

فنرى غرض العتاب قد نُسِجَ مع خيوط الرِّثاء، فقال الشَّاعر مُعاتبًا صديقًا له بأسلوب الاستفهام: (أ حقًا؟)، وهي صورةٌ تُظهِرُ العاطفة المحمومة بالاشتياق، والتي جَمعَتْ بين عاطفة الحزن الشديدة، وعاطفة العتاب للصديق الَّذي قد غادر الحياة.

ومثل مواشجة العتاب مع الرِّثاء ما جاء في معاتبة الجسر بقوله:

فَـمَا لِوَجـهِكَ يَلقِـى النَّـاسَ عَابِـرةً وَمَـا لِشَـطِّـكَ جَارٍ غَير مَحزُونِ
كَأَنَّـكَ اليـومَ لَـم تَسـمَع بِنَـائِـحَـةٍ تَنـعَى المَـوَدَّةَ مَا بَينَ البَسَـاتِينِ
أَو أَنَّ "شَوقِيَ" لَم يَنزِفْ عَليكَ دَماً وَمَـا تَمنَّـاكَ مَـلـهُوفـاً "كَـيَاسِينِ"
فَمَـا حَزَنْـتَ عَلَى أَيٍّ وَقَـد ذَرَفَتْ عَلَيْـهِمَا الدَّمـعُ حَتَى عَينُ كَانونِ
وَمَـا وَفَيـتَ بِعَهـدِ الحَالِمِـينَ وَقَـد تَصَـوَرُوكَ مَـلاذاً غَيـرَ مَضـنُونِ
فَأَكـثَـرُوا فِـيـكَ أَشـعَـاراً وَأَمـثِـلَـةً وَأَشـغَـلُـوا فِيـكَ رُوادَ الـدَّوَاوِيــنِ[2]

فنلحظ من هذه الأبيات عاطفة الحزن قد سبقها العتاب، فامتزجت مع وصف الطبيعة امتزاجًا أعطاها الجمال الصياغي والتعبيري، إذ نشاهد العتاب في مشهدٍ تصويريٍ جميلٍ، حين يسرد تلك المشاهد التي تلازم الجسر من جريان الماء، والبساتين حوله تُداعِب الشَّواطئ بظلال فَيء نخيلها، وهذه المشاهد التي تكون في العادة مُلهمة للعاطفة عندما يجلس الشَّاعر بين جنباتها مُتأملًا، فكأنَّه يقول لهذا الجسر وما حوله: قد عهدناك مَرتعًا للفرح، أكثرنا فيك الشِّعر حتى صربتَ مَضربًا للمثل في أقوالنا، فما لك لم تحزن حين جرَّ الحُزنُ الأذيال إلينا؟ أتفرح بالفرح، ولا تسكب الدَّمع يوم حزننا؟ وقد عهدناك ملاذنا بأفراحنا، وصرت كأنَّك غريب يوم أتراحنا، فهذه الصُّورة فيها من العاطفة الشَّيء الكبير، إذ أتى الحُزنُ مجذولًا بالعتابِ؛ ليخرج الجَّمال الصُّوري والتَّعبيري في الأبيات؛ وليشد

(1) الديوان: ص43.

(2) الديوان: ص72.

الأذهان إلى التَّلون الحاصل في التَّعابير، فينقل بذلك الشَّاعر العاطفة منه إلى المتلقي؛ ليستشعرا الألم والحزن معًا

وكذلك نرى صورًا تخبرنا عن عاطفة الاستغراب والدَّهشة الممزوجة مع عاطفة الرِّثاء حين يقول:

هِي الحَيَـاةُ وَتَبـقَى حِينَ نَطـلُبُـهَا مَعَ الفَضَائِلِ يُمسي بُؤسُها كَرَمَا
فَـمَـا لَـهَـا كُلَّمَـا تَسـعَى لِعَـافِيَـةٍ فِيهَا النُّفوسُ يُوافِي بُرؤُهَا سَـقَمَا
وَمَا لِذَاكَ الفُراتُ العَذبُ قَد سَكَنَت فِيهِ النَّواعيرُ حَتَّى خِلتُهَا رُجِمَا
وَلِلنَّخِـيلِ المُـرَجَّى حَولَـهَا عِوَضـاً مِنَ الأُباةِ تَدَنَّى أو غَدَاْ إضَمَا[1]

فالمتأمل في هذه الأبيات يرى عاطفة الشَّاعر تتجلى مُدوية بصوتها، تُحادثُ الحياة، إذ أتت مُعاتبة إياها، ومتسائلة الحياة لم عناد السَقَمِ بالمعاودة الجسم بعدما زاره بُرؤ الله؟ كذلك يستفهم مُستغربًا من الفرات الَّذي سكنت بوارج نواعيره، حتى أنَّ الشَّاعر قد خالها قد رُجمت حجارة فلم تعد تعمل، كذا النَّخيل المعهود شموخه وهو يتربع الشَّواطئ والبساتين، لم ير له دنوًا ولا سقوطًا لموت صديقه الَّذي كان يُجالس فيأه، ويشرب من ذلك الفرات العذب. وكلُّ هذه الصُّور تتشابك فيها العواطف، وتتنوع؛ لتشكل أبدع الصُّور، وأجملها. وكلُّ هذا لا يتأتى إلَّا أن يكون الشَّاعر ذا مَلكة شعرية وافرة، ومقدرة كبيرة على صياغة التَّعبير الملهم من تلك العواطف الجياشة.

أمَّا مشاهد الفخر فلم تغادر الشَّاعر بل امتزجت مع عاطفة الرِّثاء حين قال:

آبَـاؤُنَـا صَفوَةُ الآبَـاءِ كَانَ بِـهِم ذَاكَ الزَّمانُ حَبِياً لَيسَ مَلعُـونَا
وَاليَومَ مَا بَينَ أَن نُوفِي صَنِيعَهُم وَأَن نَصُونَ وَفِي جَهدٍ مَعَـالِينَا
تَـأبَى المُـرُوءَةُ إِلَّا حِينَ نَذكُرُهُم أَن نَبتَدِيهم بِمَن كَانُوا مَـوَازِينَـا
مُعَوَّدِينَ عَلى طِيبِ النُّفوسِ فَلَن تُـرِيـكَ أَنفَاسُـهُم إِلاَّ الرَّيَـاحِينَا
البَــاذِلِـيـنَ بِـلا مَـنٍّ وَلا طَـمَـعٍ أَصفَى المَوَدَّةِ إِحسَاناً وَمَاعُونَا
وَالقَـانِعِـينَ بِمَا دَرَّ الجَبِـيـنُ لَهُم مِن جُهدِ أَجسَادِهِم شَهداً وَنِسرِينَا
نُعَمِّى يُبَارِكُـهَا الحَمـدُ مَا كَسَبُوا مِنَ الحَلَالِ فَلا سُحتاً وَلا شِينَا[1]

(1) الديوان: ص69.

فعلى الرغم من عاطفة الحزن الَّذي تأججت نارها شوقًا على فقد الأب الَّذي لا يُعَوِّض مكانه أحد، أتت عاطفة الفخر؛ لتمتزج مع هذا اللون الحزين؛ لتمنح الشَّاعر نوعًا من المواساة لهذا الفجيعة التي أدمت قلبه، فهو يقول الشِّعر مفاخرًا بآبائه الَّذين ما انفكوا تستقي أيديهم شهدًا من جبينهم، بلا مِنةٍ من أحدٍ ولا ذلةٍ، فكانوا شموخًا يعتلي الحياءُ رؤوسَهم، غير مستضعفين ولا متكبرين، على الرغم من بساطة حالهم لا يفتؤون ينفقون بما تجود به نفوسهم، وهذا الفخر، أتى بعد أبيات الحزن والتَّحسر لفقدهم والتي قال فيها:

أَقُولُ وَالقَلبُ مَحمُولٌ عَلَى فَزَعٍ وَطَائِرُ الصَّمتِ فِي التَّودِيعِ يَحدُونَا
يَاحَامِلِينَ عَلَى نَعشٍ رُفَاتَ أَبٍ مَا زَالَ فَوقَ الثَّرَى حَـيًّا يُـدَانِـيـنَـا
نَمشِي وَمَا بَينَنا يَمشِي وَيُسَبِقُنا لِحَضـرَةِ المَـوتِ يَلقَـى اللهَ مَفتُـونَـا
أَرَاهُ وَالنُّـورُ فِـي عَـينَـيهِ مُتَّـقِـدًا يَرَى السَّما أَنجُماً وَالأرضَ نِسرِينَا[2]

فَصُورُ الحزن باديةٌ في ناظريه، مُشعلةٌ الشوق في دفتيه، فما له إلَّا أن يواسي نفسه التي ألجمها الحزن بصورة أخرى تطمئن قلبه، فيكون ذلك بإدخال غرض الفخر؛ لكي يعطي لنفسه شيئًا من الرَّاحة بأنَّ مصير الفقيد إلى خير –إن شاء الله– لما بيَّن وأوضح من صور الكسب الحلال الَّذي اجتهدوا في تحصيله بجهد وتعب، فعلى الرغم من بذلهم الشَّديد إلَّا أنَّهم كانوا قانعين بما رزقهم الله تعالى دون مللٍ أو قنوطٍ. فنرى أنَّ العاطفة تنوعت، وأتت متساوقة مع غرض الرِّثاء، وما حملته من امتزاج ألوان الصُّور، وتناغم المشاعر للفقيد.

وفي منتهى قولنا عن التَّجربة الشِّعرية لدى شاعرنا، نُبَيِّنُ أنَّ قدرتَه التَّعبيرية والوجدانية على بناء النَّص الشِّعري أتت وفق وحدة موضوعية متكاملة رسمت صورةً ايحائيةً لمشاعره وانفعالاته ضمن عاطفة صادقة قوية مُتنوعة الأغراض، والمقاصد، فكانت مراثيه تحمل الشُّعور الصَّادق، الَّذي خرج من القلب من دون أن يكون التَّكسبُ أو الشُّهرةُ دخلًا فيه، وكذلك حملت هذه العاطفة الحبَّ الشَّديد لمعالم المدينة التي تربى فيها، بين نهرها وجسرها العائم، وعوادين النَّواعير التي تُغَنِّي لأهل المدينة طربًا في شواطئ ذلك النَّهر، وأصدقاؤه الَّذين ما برح يذكرهم حتى نعاهم وندب مآثرهم، وكلُّ

(1) الديوان: ص47.

(2) الديوان: ص45.

هذه الصُّور والمشاهد نُقِشَت في ذاكرته، فما زال يَكِنُّ لها وافر الشَّوق، ويحمل لها في قلبه منتهى الشُّجون.

**الخاتمة**

بعد أن غمرنا غرض الرِّثاء بالحزن التي أودعه الشَّاعر في أبياته، والَّذي نثرنا بعض درره التي اعتنت بالعاطفة في بحثنا هذا، فلا بُدَّ من تسجيل بعض النَّتائج التي توصل الباحث إليها، وهي:

1- إنَّ الرِّثاء غرض شعريٌ منبعه الأساس العواطف الجيَّاشة التي يكون اتصالها بالقلب مباشرةً، بعيدًا عمَّا إذا كان غرض الشَّاعر من مجيء غرض الرِّثاء في شعره لشهرةٍ، أو لتكسبٍ، أو لغايةٍ نبيلةٍ وهي صدق الشُّعور بالقول؛ ذلك أنَّ عاطفة الحزن تأخذ رشفة العطف والبكاء من كوامن النفس الذَّاتية؛ لتنثرها بصور في الأبيات الشِّعرية، فتكون معبرةً عن كوامنٍ، وأحاسيسٍ، غير ظاهرة عند أصحاب التَّكسب، ومجسدة عند صادق العاطفة.

2- أهمية العاطفة تغلب جميع أركان التَّجربة الشِّعرية، فهي روح العمل الأدبي، وسراج الطَّريق الموصل إلى نفس السَّامع والمتلقي، فنرى الاهتمام الشَّديد من الشَّاعر والنَّاقد لهذا الجانب الأساس.

3- تباينت العاطفة في قوتها وضعفها بحسب قرب الشَّاعر من الفقيد، فنراه قد أبدع في تصوير مشهد الفراق، وما عمله في جسد الشَّاعر عندما رثى ابنته، وكيف كان وقع الخبر على مسامعه، فجاءت العاطفة مغمورة بالحزن الشديد، فكأنَّ الدنيا كلَّها قد رحل الفرح منها حال موتها، وقَلَّتْ تلك العاطفةُ ولكن ليس كثيراً عندما ندب المدن والأماكن التي حملت ذكريات الأصدقاء والأقارب. ونراها شبت من جديد عندما عاد بنا إلى رثاء الأب، فازداد الشَّوق والحزن، وقويت عاطفة الحزن مرة أخرى.

4- حمل الشَّاعر الثراء العاطفي الَّذي جعل العاطفة في الأبيات الشِّعرية ثابتة ومستمرَّة فلا نكاد نلحظ فُتورًا ولا ضَعفًا، بل أتت تستمد القوة والاستمرار من جياشة العاطفة التي يكنُّها الشَّاعر للمرثي، وكيف أنَّ الحزن قد أثر فيه، حتى إنَّ عاطفة الحزن في شعره لا تشبع من آلامه وأحزنه.

5- لقد كان الشَّاعر ذا مقدرة شعرية عالية، إذ يتنقل بين أغراض الشِّعر، فيمزج مع الحزن أغراضًا أخرى تعطي للشعر تلونًا وجمالًا، فهو لم يقتصر على الحزن بذاته بل زاوج، وواشج بين الحزن، والعتاب، والمدح، والفخر، والوصف، حتى يسلي النَّفس، فيواسي أحزانه بذلك، وهذا ما لمسناه في رثائه لأبيه، فكان الحزنُ قد أسقم الجسم، فنراه يعاتب مرة، ويفخر مرة، ويشكو مرة، ويسترجع أخرى. فهو في تنقله بين هذا وهذا تَشَكَّلَ جمال التَّنوع في العاطفة داخل الأبيات، فأعطى ذلك للنَّصِ بهاءً وصدقًا وقوةً.

6- أبدع الشَّاعر في تلوين بعض أبياته الشِّعرية بجميل الاقتباس المعنوي التي أخذها من القرآن الكريم، وكذلك من أبيات شعراء لهم باع طويل في نظم الشِّعر؛ ليعطي أبياته جميل الصِّياغة التي يكتسبها من آي القرآن، أو من أبيات الشُّعراء المرموقين.

وفي الختام أسأل الله –تعالى– التوفيق والسداد في عملي هذا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن إنَّه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

**المصادر والمراجع**

القرآن الكريم.

1- أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري: عتاب بسيم السوداني، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2005م.

2- أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس داخل وخارج الأندلس: يوسف إبراهيم قطريب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017م.

3- الأدب ومذاهب النقد فيه: رشيد عبدالرحمن العبيدي، مكتبة التفيض، بغداد، ط1، 1954م.

4- أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1964م.

5- الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني (ت:356هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1969م.

6- التَّجربة الشِّعرية في شعر بدوي الجبل: رابح فروجي، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2012م.

7- جماليات التشكيل اللونيّ في القرآن الكريم: د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010م.

8- الخنساء: د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ط2، 1963م.

9- ديوان ابن خفاجة الاندلسي: شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، 2004م.

10- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، قدم له راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.

11- ديوان الجواهري: محمد مهدي الجواهري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي، د. على جواد الطاهر، رشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1975م.

12- ديوان الخنساء: شرحه حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م.

13- ديوان علي بن الجهم: عني بجمعه وتحقيقه ونشره خليل مردم بك، طبع في وزارة الأوقاف، المملكة العربية السعودية، 2001م.

14- ديوان الهذليين: الشُّعراء الهذليون، تحقيق محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ-1965م.

15- ذاكرة الخلود ديوان المراثي: سبتي جمعة الهيتي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2011م.

16- الرِّثاء في الشِّعر الجاهلي وصدر الإسلام: د. بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ط1، 1977م.

17- الشِّعر والشُّعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ.

18- صدق العاطفة في شعر مراثي النساء: إيمان كمال مصطفى المهداوي، بحث قُدم إلى مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد 51، 2011م.

19- الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي": سبتي الهيتي، مكتبة الزاوية للطباعة والنشر، بغداد، 2014م.

20- العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشِّعر: د. حسين أبو المجد محمد، مقالة منشورة في المجلة الحولية بجرجا، جامعة الأزهر، مجلد 9، العدد1، 2005م.

21- العاطفة والابداع الشِّعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري: د. عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م.

22- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي (ت:328هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.

23- العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت:463هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، القاهرة، 1981م.

24- العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:170هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، مصر، (د.ت).

25- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت:711هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، وسيد رمضان أحمد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

26- المحاسن والمساوئ: إبراهيم بن محمد البَيْهَقِيُّ (ت:320هـ)، تصحيح محمد بدر الدِّين النَّعَاسِي الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، 1960م.

27- مقالات في الأدب والشِّعر: سبتي الهيتي، دار المتن للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2019م.

28- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1979م.

29- النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1997م.

30- النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين: أحمد محمد نتوف، دار النوادر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2010م.

31- الوجه الآخر مقالات في الأدب والفن والحياة: محمد عبدالحليم عبدالله، مكتبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1984م.

**References**

The Holy Quran.

1- Al-Sudani, B. (2005). *Women's Literature from the advent of Islam until the end of the first century*. Master dissertation at University of Kufa.

2- Qutrib, Y. I. (2017). *The literature of hospitality among the writers of Andalusia inside and outside Andalusia* (1st ed.). Al-Kutub Al-Ilmiyyah press. Beirut.

3- Al-Obaidi, R. A. (1954). *Literature and Doctrines of Criticism in It* (1st ed.). Al-Tafayd Library. Baghdad.

4- Al-Shayeb, A. (1964). *The Origins of Literary Criticism* (1st ed.). The Egyptian Renaissance Bookshop. Cairo.

5- Al-Isfahani. (1969). *The songs* (1st ed.). Al-Shaab press. Cairo.

6- Frouji, R. (2012). *The poetic experience in the poetry of Bedouin Al-Jabal*. Doctorate thesis at Farhat Abbas University. Algeria.

7- Al-Saffar, I. M. (2010). *The Aesthetics of Color Formation in the Holy Quran* (1sted.). The World of the Modern Book. Amman.

8- Al-Shati, A. A. (1963). *Al-Khansa* (2nd ed.). Al-Maarif press. Egypt.

9- Al-Tabbaa, O. F. (2004). *Anthology of Ibn Khafaja Al-Andalusi*. Al-Qalam for printing and publishing. Beirut.

10- Al-Tabrizi, A. (1994). *Anthology of Abi Tammam* (2nd ed.). Al-Kitab Al-Arabi press. Beirut.

11- Al-Jawahiry, M. M. (1975). *Anthology of Al-Jawahiry*. Al-Adeeb Al-Baghdadiya Press. Baghdad.

12- Tamas, H. (2004). *Anthology of Al-Khansa* (2nd ed.). Al-Maarifa press. Beirut.

13- Bey, Kh. M. (2001). *Anthology of Ali bin Al-Jahm*. Ministry of Awqaf. Saudi Arabia.

14- Al-Shanqeeti, M. M. (1965). *Anthology of Al-Hudhali, Al-Hudhali Poets*. National House for Printing and Publishing. Cairo.

15- Al-Hiti, S. J. (2011). *Memory of Eternity, Diwan Al-Marathi* (2nd ed.). Adnan Library for Printing and Publishing. Baghdad.

16- Al-Khatib, B. M. (1977). *Lamentations in Pre-Islamic Poetry and Early Islam* (1st ed.). Local Administration Press, Baghdad.

17- Al-Dainuri, A. M. (2003). *Poetry and Poets* (1st ed.). Al-Hadith Press. Cairo.

18- Al-Mahdawi, I. K. (2011). Sincerity of Emotion in the Poetry of Women's Elegies. *Diyala Journal for Human Research*. 1(51), 1-22.

19- Al-Hiti, S. (2014). *The Hard Way "A Novel with a Communist Memory"*. Al-Zawiya Library for Printing and Publishing. Baghdad.

20- Muhammad, H. (2005). Emotion and its impact on shaping the language of poetry. *The annual Journal*.9(1), 327-373

21 - Al-Akoub, I. A. (2002). *Passion and Poetic Creativity: A Study of the Critical Heritage of the Arabs to the End of the Fourth Hijri Century* (1st ed.). Al-Fikr press. Damascus.

22- Al-Andalusi, A. (1984). *The unique contract* (1st ed.). Al-Kutub Al-Ilmiyyah press. Beirut.

23- Al-Qayrawani, A. R. (1981). *Al-Umdah in the Beauty and Ethics of Poetry* (5th ed.). Al-Jeel Press. Beirut.

24- Al-Farahidi, A. A. (2014) *Al-Ain*. Al-Hilal Library and Publishing House. Cairo.

25- Al-Afriqi, M. M. (2014) *Arab speech*. Al-Maarif press. Cairo.

26- Al-Bayhaqi, I. M. (1960). *Advantages and disadvantages*. Al-Saada Press. Egypt.

27- Al-Hiti, S. (2019). *Articles in Literature and Poetry* (1st ed.). Al-Matn for Printing and Publishing. Baghdad.

28- Faris, A. (1979). *Language Standards*. Al-Fikr for Printing and Publishing. Damascus.

29- Hilal, M. Gh. (1997). *Modern Literary Criticism* (1st ed.). Nahdat Misr press. Cairo.

30- Natuf, A. M. (2010). *Applied criticism among the Arabs in the fourth and fifth centuries AH* (1st ed.). Al-Nawader for printing and publishing. Damascus.

31- Abdullah, M. A. *The Other Side, Articles in Literature, Art, and Life* (1st ed.). Egypt Bookshop for Printing and Publishing. Cairo.